هناك مشارقة يعتقدون أن المغرب بلا شِعر

الشاعر المغربي صلاح بوسريف: لا حاجة لنا إلى من يضعون الشعر في قفص ذواتهم

يشتغل الكاتب والشاعر والأكاديمي المغربي صلاح بوسريف في أكثر من مجال بين كتابة الشعر والتنظير له والنقد وحتى العمل الثقافي والأكاديمي، ما وفر له رؤية خاصة في ما يتعلق بواقع العمل الثقافي والإنتاج الشعري وما يكتب كنقد. "العرب" كان لها هذا الحوار معه لاستقصاء رأيه في عدد من القضايا التي تهم الشأن الثقافي.

نقد الشعر لم يبدأ بعد في الثقافة العربية

محمد ماموني العلوي
صحافي مغربي

رغم انشغال صلاح بوسريف بالكتابات النقدية وإدارته لمجلة "الثقافة المغربية"، إلا أنه يؤكد في حواره مع "العرب" أن الشعر عنده عمل يومي، واشتغال دون انقطاع، لأنه ورش مفتوحة على المجهول والمفاجئ والمدهش.

> حين نصبح أسرى للقواعد والأنساق في الشعر، أو لما هو من ابتكار آخرين سابقين فنحن نلغي وجودنا

وبخصوص جديده يؤكد بوسريف أن هناك أعمالا ستظهر مع ما نسميه بالدخول الثقافي، بينها ديوان شعري بعنوان «لا أحد سواي» وعمل آخر في جزأين وهو «مثالب هوميروس»، إلى جانب دراسات نظرية في الشعرية، وكتاب البيانات الشعرية، والجزء الرابع من الأعمال الشعرية.

الحاجة إلى الشعر

دائما ما كانت الحرية في التعبير طريقا شعريا سيارا للبحث عن الجديد والتجدد، وقد تعامل صلاح بوسريف الشاعر مع هذا المعطى كمحدد للإبداع والشعر، فحين تنتفي فيه الحرية حتما ستنتفي فيه الشعرية وينتفي فيه الجمال، والحق في أن تقول ما تريد.

فالشعر بهذا المفهوم الذي يعرفه بوسريف، هو ما يمنح الوجود معناه الأنطولوجي، أي يجعل الإنسان هو من يمسك بزمام هذا الوجود، يخلق ويبتدع كينونته فيه، بمعنى أن الإنسان لا يكون تابعا، أو يمكن التحكم فيه عن بعد.

وإذا كانت الحرية مبتدأ ومنتهى العملية الشعرية فهي مرتبطة بالجمال والشاعر معني بالواقع جماليا، كما يقول صلاح بوسريف، لأن الجمال يجر خلفه الحق والعدل والمساواة، وغيرها من الأمور التي يمكن التعبير عنها في السياسة بلغة مباشرة تخلو من التعبيرات المجازية التي تخترق الجسم والنفس معا، ويكون تأثيرها عميقا، بعكس الخطابات المباشرة، فهي آنية نفعية، وغاياتها محدودة.

ويضيف الشاعر "حين نصبح أسرى للقوانين والقواعد، وللأنساق في الشعر، أو لما هو من ابتكار آخرين سابقين علينا، لهم فكرهم، ولهم خيالهم، ولهم إيقاعاتهم، ولهم زمانهم، فنحن نلغي وجودنا، نصير مجرد ظلال لأشياء أخرى، لوجود آخر جرى أو يجري خارج وجودنا، أي أننا نكون مجرد صدى لهذا الذي ابتدع وابتكر وتخيل وغنى، وهذا في الشعر، وهذا غير مقبول".

ويتابع "الشعر بهذا التوسع في التجربة الحياتية إلى اليوم، هو الذات الشاعرة، وهي تتنادى وتتصادى مع ماضيها، مع جراحها وخدوشها الشخصية، والآخر، أكيد، حاضر في تعالقه وتشابكه مع هذه الذات الجريحة التي تنْكأ جراحها بقول الشعر، أو بكتابة الشعر، لكن، في سياقه التعبيري الجمالي، دائما".

وعلى المستوى المغربي توجد تجارب كبرى، وفيها اختراقات، ولهذا يؤكد بوسريف عدم الالتفات إلى قراءات بعض المشارقة الذين اعتقدوا أن المغرب ليس فيه شعر، لأن هؤلاء، أساسا، يرون الشعر هو ما يكتبونه هم، وهذا فيه جناية على الشعر المغربي، وعلى الشعر عموما، موضحا أن هؤلاء يكتبون أمورا لم تعد قادرة على تخطي ماضيها، والمستقبل بالنسبة إليهم هو هذا الماضي الذي استغرقهم.

ولهذا السبب يجد الشاعر المغربي، أنه لا حاجة لنا إلى من يضعون الشعر في قفص ذواتهم، أو في قفص مشرق شاخ وهرم، وبات عليه أن يجدد دمه، ويعتبر الشمس تأتي من أكثر من مكان.

الواقع الثقافي

الشاعر والمثقف دوما ما كانا متفاعلين مع أحداث مجتمعهما وتحولاته، ولهذا نسأل صلاح بوسريف، عن تفاعله مع ما عرفه العالم العربي منذ هبة 2011، التي لا تزال مستمرة في الزمن العربي الحالي، فيقول لـ"العرب"، "لقد كنت في قلب تلك العاصفة، وعبرت عن موقفي، وقمت بتحليل ومناقشة ما يجري، وانتصرت لحق الشعوب في الحرية والديمقراطية، وكنت ضد سرقة العسكر للثورات بالقوة، أو سرقة الإسلامويين لها، لأنها جاءت من الشارع، رغبة في التغيير، في أن تعيش الشعوب بكرامة، وأن تخرج من أقفاص الاستعباد والاستبداد".

ويصر بوسريف على القول إنه كمثقف ليس خارج المجتمع، أو يعيش فيه من خارجه، قائلا "أنا جزء منه، وقلقه هو قلقي، وأنا أعيش نفس الظلم الذي يعيشه جميع الناس، ثم إنني لست مثقفا منطويا على نفسه، فأنا أعيش حياتي بين الناس، رغم ما أرغب فيه من خلوات لأقرأ وأكتب وأتأمل".

ولهذا يخلص بوسريف إلى أن الشاعر معني بالسياسة وبالمجتمع، في سياقهما الجمالي، لا في سياقهما الآني المحدود، والذي ينتهي بمجرد انتهاء مهمة السياسي.

يقول بوسريف "المثقف المغربي والعربي، استقال، صمت، انزوى، وقليلون من لا يزالون يقاومون ثقافيا وسياسيا، ويقولون ما ينبغي أن يقال، ويحرجون الأنظمة، ويتأملون ما يجري حولهم، والغالبية، ينتظرون متى يشتعل النور داخل مغارة لا يصلها نور، وهذه من معضلات الثقافة والمثقفين عندنا".

في هذا السياق وارتباطا بكل ما سبق يبرز التساؤل حول مؤسسة اتحاد كتاب المغرب هل ما زال بإمكانها النهوض بمسؤولياتها مع ما تعرفه من أزمات بنيوية متتالية، وهنا يؤكد بوسريف، بأسف أن اتحاد كتاب المغرب منهار، وهو اليوم مؤسسة فارغة من كل شيء.

ويفسر صلاح بوسريف هذه الوضعية بكون الذين تعاقبوا على هذه المؤسسة منذ أواخر تسعينات القرن الماضي إلى اليوم، أفسدوها، وحولوها إلى غنيمة شخصية، ووكالة للأسفار والعلاقات العامة، وهم في أغلبهم أشخاص دون سؤال ثقافي ولا إبداعي.

ويراهن صلاح بوسريف على المؤتمر الذي سيُعقد في شهر أكتوبر 2019، فهو إما يحيي هذه المؤسسة ويعيدها إلى مكانها الحقيقي، وإما أن يجري التآمر مرة أخرى بوضع أشخاص في غير مكانهم.

يقر بوسريف أن نقد الشعر لم يبدأ بعد عندنا في الثقافة العربية، أغلب، بل جل ما كُتب من دراسات، وما حُرر من أبحاث وأطاريح جامعية، كان يقرأ الشعر من خارج الشعر ذاته، مرجحا كون المنهج والمفهوم، هما ما يكون حاضرا في البحث وفي الدراسة، بنوع من التطبيق الحرفي لما تمت ترجمته من كتابات وثقافات شعرها هو غير الشعر العربي، ولغتها هي غير اللغة العربية، وخيالاتها هي غير خيالاتنا، وأيضا إيقاعها ليس بالضرورة هو إيقاع وجودنا.

وعليه فالنقد، كما يقول، يعيش أزمة في ذاته، في رؤيته، في مفاهيمه، في علاقته بالشعر، وفي منظوره الاختزالي، الذي يحكمه الإعلام، لا الجمال، أو ما يجري في الشعر من انقلابات، كما سنحتاج إلى زمن لننتبه إليها، وما فيها من مقترحات جريئة، ولها أفقها التعبيري الجمالي المغاير لما هو معروف وسائد، أو يبدو لنا أنه هو الشعر.

ما نسميه نقدا بقي بعيدا عن جوهر الشعر والشعرية، والسياقات الجمالية للشعر، سواء في الشعر المغربي، أو في الشعر العربي، يقول بوسريف، متابعا هو نقد اكتفى بجغرافيات وأسماء محددة تتكرر إعلاميا، وأكاديميا، وفي ما ينشر باسم النقد.

ويضيف "لذلك، إذا أردنا أن نعرف ما يجري في الشعر المغربي، حقيقة، فالدراسات غير مفيدة، لأنها محكومة بالذوات، ولا موضوعية فيها، وهي نوع من التمجيد والإطراء، وإجبار النصوص والتجارب على قول ما ليس فيها، مثل الاستنطاق البوليسي الذي يجبر المتهم على إدانة نفسه، رغم براءته. وهذا لا علاقة له بما تسميه بالحداثة في سؤالك، بل هو تضليل للحداثة، مثل تضليل العدالة".

وتأسيسا عليه فما يكتبه صلاح بوسريف، شعرا أو نصّا وعملا، هو ما يوجه النظر عندي، أو ما تسميه نقدا، فالنظرية ليست سابقة على النص، بل تمثل له، وهي استنباط، ووصف لما يجري في هذا النص أو العمل، ويستسرل مؤكدا أنه لا يمكن أن نأتي بنظرية ونشتغل عليها لنحولها إلى شعر.

الشاعر المنفي خارج الوطن والقصيدة

مفيد نجم
كاتب سوري

في تاريخ الشعرية العربية الحديثة لا يمكن الحديث عن التحولات التي شهدتها هذه الشعرية دون التوقف مليا عند تجربة الشعر المهجري، وما أضافته في سياق تحولات القصيدة الجديدة من تجديد وإثراء. لكن هذا التجديد الذي أحدثته في بنية ومقاربات هذه القصيدة لم يكن ليتحقق لولا تمثل الشعراء والكتاب المهاجرين للثقافة التي عاشوا في كنفها، وقد امتزجت عندهم بروح الثقافة التي جاؤوا يحملونها معهم.

ومن أجل تأكيد هذا الحضور عمل هؤلاء المهجريون على إنشاء النوادي والجمعيات الأدبية والمجلات التي كانت منبرا لهم يطلون منه على ثقافة الآخر وعلى الثقافة العربية، تأكيدا للروابط الكبيرة بثقافتهم الأم. لذلك فإن ما حققه أدب المهجر من قيمة فكرية وجمالية ووجدانية لم يكن ليتحقق لولا الموهبة والقدرة على تطويرها وإغنائها حتى تحولت هذه التجربة إلى ظاهرة راسخة في تاريخ الثقافة العربية الجديدة وروافدها التي ساهمت في بث الحياة الجديدة فيها، من خلال انفتاح هذه الثقافة على الثقافة الحديثة في بلدان اغترابهم.

والسؤال الذي يطرح نفسه اليوم بعد موجات اللجوء الكبيرة التي حدثت في السنوات الماضية هل الوقت حان للحديث عن أدب المنافي أو أدب مهجري جديد خاصة وأن الهجرات العربية إلى بلدان الغرب لم تتوقف لأسباب سياسية واجتماعية منذ عقود خلت؟ لقد ولدت تجربة شعراء وأدباء المهجر بعد سنوات طويلة من المعاناة والمكابدة ساهمت في إنضاج هذه التجربة روحيا وإبداعيا، حتى استطاعت أن تشكل علامة فارقة في تاريخ الشعرية والأدب العربي، بينما جاء شعراء المنافي إلى منافي الغرب حاملين ألقابهم معهم التي أخذوا يقدمون أنفسهم للآخر بها قبل تقديم أسمائهم، في حين أن أغلب هذه التجارب ما زالت تبحث عن الشعر بين ما تكتبه من نصوص، وتقدم نفسها من خلالها وكأن هذا التقديم هو جواز العبور إلى ثقافة الآخر ونيل الاعتراف بموهبته، حتى بات أغلب القادمين إلى هذه المنافي شعراء وشاعرات وكتابا وكاتبات. هناك استعجال كبير في تحقيق الشهرة والحضور دون اجتهاد حقيقي في التجربة.

تعاني أغلب النصوص التي تكتب في هذه المنافي من التناسخ والتكرار والتسطيح ما يدل على ضعف الموهبة من جهة، وغياب الاجتهاد والبحث ومحدودية المعرفة بجماليات الكتابة الشعرية أو السردية وأسرار اللغة وجمالياتها من جهة أخرى. لذلك تفتقد أغلب هذه الأصوات إلى التفرد والخبرة الأدبية وغالبا ما تلجأ إلى السرد أو ما عرف بقصيدة اليومي والهامشي أو لغة التداعيات في نصوصها دون أن نلحظ أثرا لافتا للتميز والإضافة حتى بتنا أمام تجارب تستنسخ بعضها البعض بصورة عجيبة. أصوات كثيرة وكتابات كثيرة وزحام على الألقاب والحضور دون أن نجد ما يبرر كل هذا.

لقد ترك شعراء المهجر أوطانهم تحت ضغط الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة بحثا عن سبل جديدة للحياة تضمن لهم العيش الكريم، بينما ترك شعراء المنافي أوطانهم هربا من الموت وظروف الحرب الكارثية، فهم أبناء قضية ومعاناة كان يمكن لها أن تسهم في إنضاج تجاربهم وتخلق حسا إنسانيا عاليا من مكابدة في اللغة ومع اللغة للمأساة السورية بكل أبعادها وتجلياتها. إن روح التفرد والخلق والإبداع هي جوهر الأدب وفي هذا تكمن قيمته الجمالية التي تفرض حضوره.

لقد أعطى الشعراء المهجريون تجربتهم كل ما يستطيعون من جهد ومتابعة وتطوير على الرغم من الظروف الصعبة التي كان يعيشها البعض منهم، ولذلك استطاعت هذه التجربة أن تشكل علامة فارقة فرضت نفسها بقوة إبداعها وبالروح الجديدة التي ضختها في الأدب العربي. لذلك من الصعب الحديث الآن عن ظاهرة شعراء المنافي لأسباب كثيرة أقلها ضعف هذه التجارب والانشغال بالظهور على حساب الانشغال بتطوير التجربة وتعميقها، والعمل على خلق حالة شعرية وأدبية عربية تلفت الأنظار إليها وتفرض نفسها على ثقافة البلدان التي تعيش فيها.

إن ارتباط الشاعر المهجري بثقافته الأم واستمرار اتصاله معها منحا هذه التجربة عمقها وساهما في إخصابها، في حين أن البعض من شعراء الظاهرة الجديدة يضع الاعتراف به في بلدان اللجوء قبل أي اعتبار آخر مهما كانت تجربته متواضعة على المستوى الجمالي. كما أن البعض منهم أيضا جاء وهو لا يملك ثراء في معجمه اللغوي والشعري ولا تتعدى علاقته باللغة والبلاغة المسلمات منها، الأمر الذي يجعل هذه التجارب تنم عن محدودية في معجمها وعن ضعف في علاقتها مع اللغة، إضافة إلى ضعف علاقتها مع الشعرية العربية بتياراتها المختلفة. ولكي لا تظل التهمة محصورة بكثير من تجارب شعراء المنافي فإن هذه الظاهرة تكاد تكون مشتركة عند العديد من شعراء قصيدة النثر في العالم العربي أيضا.

شعراء بقالب واحد (لوحة للفنان باسم دحدوح)

> هناك قصائد جنت على الشعر وهو ما يظهر جليا في أشكال الكتابة المكررة والاستنساخ والمعجم اللغوي المتشابه

لقد جنت قصيدة النثر بمفهومها غير المتعين عند الكثيرين على الشعر، وهو ما يظهر جليا في أشكال الكتابة المكررة والاستنساخ والمعجم اللغوي المتشابه والفقير وانعدام المغامرة في الخلق والإبداع من أجل كتابة مختلفة تعبر عن تجربة جيل مختلف في حساسيته وتجربته ورؤيته إلى الذات والعالم. لهذا من الصعب أن نعثر على نماذج شعرية ترتقي إلى مستوى المأساة التي تعيشها الذات الشعرية بالمعنى الوطني والوجودي والروحي والإنساني. إن فقر جزء لا بأس به من هذه التجربة يعيدنا إلى السؤال الذي ما زال يلاحق قصيدة النثر سواء على مستوى المصطلح والمفهوم أو على مستوى الكتابة وانزياحاتها.